

إحياء علوم الدين

في النفوس .

وأما الخلافات التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فإياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم إلى طلب المناقشة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتهما .

وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت .

فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف الله إلا بعلم الخلاق فإن علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فإن الذي يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيطه على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقصي عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام .

وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل .

وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل // حديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أمامة قال الترمذي حسن صحيح // ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم // حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم متفق عليه من حديث عائشة // وقال بعض

السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل .
وفي بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل // حديث إنكم
في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده // وفي الخبر المشهور أبغض
الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم // حديث أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم متفق عليه من
حديث عائشة // وفي الخبر ما أتى قوم المنطق إلا منعوا العمل // حديث ما أتى قوم المنطق
إلا منعوا العمل لم أجده أصلاً // والله أعلم .

الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفاته .
المناظرة والجدل وشروط إباحتها .

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولوها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء
بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون
بالفقهاء إلا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة
وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على
الله تعالى بكنه اجتهدهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها